بالانعام فاشكر على الدوام على لسان الانام وهذا المعنى
يصحح معنى ما ينقل حديثا ولم يصح لفظا كنت كنزا مخفيا
فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لان اعرف ولذا قال
ابن عباس في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفون والمعنى ينظر الغني الى الفقير فيشكر وينظر
الفقير الى الغني فيرى نعمته فوق الغني فيشكر ويرى حسن
الصورة جماله فيشكر وقبيح الصورة حسن خصاله فيشكر
كذا قاله الطيبي وهو موهم ان حسن الصورة والسيرة لا يجتمعان
وان الغنى والدين متنافيان فالاحسن ما قال شيخنا
ابن حجر المكي ان الغني يرى عظيم نعمة الغنى والفقير يرى عظيم
نعمة المعافاة من كدر الدنيا ونكدها وتعبها الذي لا حاصل
له غير طول الحساب وترادف الحزن و
توالي العذاب وحسن الصورة يرى ما منح من ذلك الجمال الظاهر
الدال على الجمال الباطن غالبا وغيره يرى ان عدم الجمال ادفع
للفتنة واسلم من المحنة فكل هؤلاء يرون مزيد تلك النعم
عليهم فيشكرون عليها ولو تساووا في وصف واحد لم يتفطنوا
لذلك ورأى اي ادم الانبياء وهم اعم من الرسل فيهم اي حال
كونهم مندرجين في جملتهم مثل السرج جمع سراج عليهم النور
اي يغلب كانه بيان لوجه تشبيههم بالسرج فان الخلق خلقوا في
ظلمة والانبياء انوار الله عليهم يهتدون بهم الى ربهم وفيه
اشارة الى ان الانبياء ايضا لا يخلون عن ظلمة الاخلاق
البشرية لكن يغلب عليهم العصمة الالهية والانوار الربانية
ولذا خصوا بميثاق اخر بعد ما دخلوا في عموم ميثاق العوام
للاهتمام التام بمرامهم عليهم السلام فقوله خصوا استيناف
او صفة للانبياء في الرسالة والنبوة اي في شانهما والقيام
بحقهما والفرق بينهما ان النبي من انباه عن الله والامر
انباء عن الله امر الا والرسول من امر بتبليغ الرسالة وهو قوله
تبارك وتعالى اي هذا الميثاق هو المراد من قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم الى قوله عيسى بن مريم وما قبله ومثله ومنه

ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ففيه تخصيص بعد تعميم
فان الخمسة هم اولوا العزم على الاصح وقدم نبينا عليه السلام
في الذكر لتقدمه في الرتبة او في الوجود ايضا لقوله اول ما
خلق الله روحي وقوله كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
ثم قال الله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عظيما موكدا
ليسأل الصادقين عن صدقهم والظاهر منه ان الميثاق الخاص
هو العهد بالصدق والاخلاص والاظهر ان ميثاق الانبياء
انما هو مظاهرة بعضهم بعضا بالايمان والتصديق والنصرة
والمعاونة كما قال الله تعالى في موضع اخر واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اأقررتم واخذتم على ذلكم
اصري اي عهدي قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من
الشاهدين وهذا الميثاق الخاص ان يحتمل ان يكون بعد
تمام والاظهر ان يكون قبله في عالم الارواح تفضيلا لهم
وتكريما ولذا قال عليه السلام كنت نبيا وادم بين الروح
والجسد ويدل عليه قوله كان اي عيسى في تلك الارواح فارسل
اي الروح وهو يذكر ويؤنث يعني مع جبرائيل عليه السلام الى
مريم عليها السلام بصيغة التثنية هو الصحيح وفي نسخة
بصيغة المجهول اي روي عن ابي انه دخل اي الروح الى جوفها
ثم رحمها وانما ذكر الروح بتاويل المنفوخ او عيسى كذا قاله
الطيبي وفي القاموس الروح بالضم ما به حيوة الانفس ويؤنث
انتهى فجعل التذكير اصلا لكما هو الاصل في اللفظ من فيها
اي من فمها كذا قال الابهري وهو اشارة الى قوله تعالى فنفخنا
فيه اي في فيها وقرأ ابن مسعود فيها اي في مريم وهو يحتمل
ان يكون المراد في فمها او في جيب درعها ويجمع بينهما بفرض
ثبوتهما بان بعض تلك النفخة دخلت من جيبها وبعضها
من فمها وتخصيص عيسى وتقييده بقوله ودخل من فيها لتسجيل
على النصارى بركاكة عقولهم اي كيف يتخذ الها من دون
الله من هذا حاله قال الطيبي ونظيره قوله تعالى كانا يأكلان

Copyright © King Saud University